﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧٦ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٧٨ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٧٩ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٠﴾

[الشعراء: 176 - 180]

مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

تقارُبُ الزّمان والمكان بين قصّتي قومِ لوطٍ وقومِ شعيبٍ عليهما السلام

تأتي قصّة نبيّ الله شعيبٍ عليه السلام، وهي القصّة السّابعة بعد قصص موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط، وكما هو معهود القرآن مجيءُ قصّة شعيبٍ بعد قصّة لوطٍ عليه السلام، وهذا هو التّرتيب الذي مَرّ في سورة الأعراف وفي سورة هود وفي سورة الحِجْر، وفي الحَجّ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ٤٢ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ٤٣ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ﴾ [الحجّ: 42 - 44]، وسيأتي في سورة العنكبوت: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ [العنكبوت: 36] عقيبَ قصّة لوط، وفي سورة ص: ﴿وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣﴾ [ص: 13]، فإلى جانب القُرْب الزّمنيّ بين قوم لوطٍ وقومِ شعيب، نجد القُرْبَ المكانيّ؛ إذ سكن قومُ شعيبٍ بَلَدةَ "مَدْين"، وهي من أرض مَعانٍ، في الأطراف الجنوبيّة منَ الشّام، ممّا يلي ناحيةَ الحجازِ، قريبًا من بُحَيرة قوم لوط.

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لۡـَٔيۡكَةِ﴾: (أيك) أصلٌ يدلُّ على اجتماعِ شَجَرٍ[1]، والأَيْكةُ: الشَّجَرُ الكَثيرُ المُلتَفُّ، وقيلَ: هي الغَيضة تُنبِتُ السَّدْر والأَراك ونَحوهُما مِنْ ناعِمِ الشَّجَرِ، وخَصَّ بعضهم بِهِ مَنْبَتَ الأَثْل ومُجتَمعه[2]، وقيلَ: الأَيْكة جَماعَةُ الأَراك[3]، والجَمعُ أَيْكٌ، وأَيِكَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أيك).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (أيك).
(3) ابن فارس، مقاييس الله، وابن منظور، لسان العرب: (أيك).

الأَراك فهو أَيِكٌ واسْتَأْيَك، كلاهما: التفَّ وصار أيكة[1]، وأُطلقَتْ هنا مُرادًا بها الجِنْسُ إذ قد كانَتْ مَنازِلُهم في غَيْضَةٍ مِنَ الأَشجارِ الكثيرَةِ الوَرق[2]، وأَصحابُ الأَيْكَةِ: هم قَوْمُ شُعيب عليه السلام وهم مَدْيَنُ، وقيلَ أَصحابُ الأَيْكَةِ فريقٌ مِنْ قَوْمِ شُعيبٍ غيرُ أَهْلِ مَدْيَنَ، فأَهلُ مَدْيَنَ هم سُكّانُ الحاضِرَةِ وأَصحابُ الأَيْكَةِ هم بادِيَتُهُم، وكانَ شُعيبٌ رسولًا إليهِم جميعًا[3].

المَعْنى الإجْماليُّ:

تشابهُ دعوةِ نبيّ الله شعيب عليه السلام مع دعوات جميع الأنبياء

ابتدأتِ الآياتُ الكريمة ببيان كَذِبِ مَن سبق منَ الأُمَم الهالكة، فقد كَذّبَ أصحابُ تلك الغَيْضَة الكثيفة المرسلين؛ بتكذيبهم بنبيّ الله شعيبٍ عليه السلام، إذ قال لهم نبيُّهم شعيب - يحضّهم ويرغِّبهم - ألا تخافون الله تعالى، فتمتثلون لما أمر، وتجتنبون ما أنتم عليه من سوء الخِصال وذَميم الفِعال، كما أنَّه أكَّد لهم رسالته وبيّن أمانته على وحي الله، وحِرصَه عليهم، ونُصْحَه لهم، فإذا صدَّقتم برسالتي، فعليكم بتقوى الله وحْدَه، وطاعتي واتّباعي، أَهْديكُم إلى سبيل النّجاة، وطريقِ الخير، وهو كغيره منَ الأنبياء بيّن لهم أنّه لا ينتظر منهم الأجرَ والمثوبةَ، وأن أجرَه على من أرسله سبحانه، فهو الخالق الرّازق الهادي المُدبّر.

وترشدُ الآيات الكريمة إلى أنَّ دعوة الأنبياء كلّهم - فيما حكى الله عنهم - على صيغة واحدة؛ لاتفاقهم على الأمر بالتّقوى والطّاعة والإخلاص في العبادة، وإلى أنَّ الأمر بالتّقوى فريضةُ كلِّ داعٍ إلى الله تعالى، وهي طريقةُ الدّعاة والهُداة، إذ طاعةُ الله واجبة، وأنه لا يصِحُّ لداعٍ إلى الله أن يطلب أجرَه ممّن يدعوهم؛ فإن ذلك ينَفِّرُهم عنِ الهداية والخير[4].

(1) ابن منظور، لسان العرب: (أيك).
(2) الخليل، العين: (أيك)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 71.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 358.
(4) البغويّ، معالم التّنزيل: 3/ 371، والجزائريّ، أيسر التّفاسير: 3/ 680.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصلِ الجملة عمّا قبلها:

تستقلُّ كلُّ قصّة بمعانيها رغمَ اتِّساقها مع سوابقها ولواحقها

جاءت الآيةُ ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ﴾ مفصولةً عمّا قبلها؛ لأنَّها جملةٌ مستأنفة، فهي بداية قصّة أخرى من قصص الأنبياء مع أقوامهم، وفصلٌ جديد من فصول تاريخ الأُمم الهالكة، ولما بينهما من تغاير في المعنى؛ فهذه قصّة جديدة، تتّسق مع ما قبلها منَ القَصَص، لذا حَسُن الفَصْل.

دلالةُ تذكير فعل ﴿كَذَّبَ﴾:

جاء الفعل ﴿كَذَّبَ﴾ خاليًا من تاء التَّأنيث في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ﴾ وهو الأصل، بخلاف القصَّة المتقدِّمة ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾؛ وذلك أنَّ الفاعل هنا جمعٌ، وهناك اسم جمع، واسم الجمع للعاقل يجوز فيه الأمران، التّذكير والتّأنيث.

نُكْتَةُ التَّعريف بإضافة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ إلى ﴿لۡـَٔيۡكَةِ﴾:

دقّة القرآن في التّعريف بالاسم الأشهر

جاء التَّعبير بإضافة لفظ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ إلى ﴿لۡـَٔيۡكَةِ﴾ دون أن يقول: (قوم شعيب)؛ لأنَّهم مُلازِمون لها منسوبون إليها، كما في أصحاب الجنّة، وأصحاب الكهف، وأصحاب القرية، فالأيكةُ شجرةٌ، والأقوام من تربطهم رابطة دم، أو تجمعهم بلد، أو تربطهم لغةٌ، فدلَّ هذا الاستعمال على أنَّ الأيكة هي الجهة الجامعة لهم، باعتبار أنَّهم عُرفوا بها، فاشتُهروا بانتسابهم لها في زمانهم، فنُسبوا إليها؛ لأنَّهم مجاوروها وملازموها، ومنتفعون بخيرها، في الرّعي وغيره منَ المنافع.

دلالةُ التّعريف بالإضافة في: ﴿أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ﴾:

عظيم النّعمة وجلالُها، مع رُزْءِ الكفرِ وشناعته

تمييز هؤلاء المذكورين بالمكان الذي عاشوا فيه، وهو مكان مشهورٌ، فيه إشارةٌ إلى أنّهم كفروا بنعمة الله، كشأن قوم لوط الذين عاشوا في قرًى حاضرةٍ عامرة، بين خصبٍ ونَعْمَةٍ، لكنّهم فسقوا

وفجروا، وقابلوا النّعمَ بالكُفران والعصيان، كذلك أصحابُ الأيكة، أنعم اللّهُ عليهم بهذه الواحة الغنّاء، والرّوضات الفيحاء، والظّلال الممتدة، والماء والخُضرة، في قلب قِفارٍ وصَحارٍ، فكان أجدرَ بهم أن يؤمنوا بدعوة نبيّهم، وينصفوا في موازينهم ومكاييلهم، فالخيرُ كثير، والرّزقُ وفير، والماءُ عذبٌ نمير، فلماذا هم أشحّاء أخسّاء! أو أُضيفوا إليها لأنّهم كانوا يعبدونها، وهي التي هلكوا بها.

معنى (أل) في لفظ ﴿لْـَٔيْكَةِ﴾:

واحـة خـضراء في قلب صحراء قاحلة نِعمةٌ تستحقّ الذّكر وتستوجب الشّكر

اللّام في ﴿لْـَٔيْكَةِ﴾ للعهد؛ لأنّها معروفة، وهي مجتمع الشّجرة، أو كعلم لشُهرتها، سواء كان المراد بالأيكة الأشجارَ الكثيفة الأغصان، الوريفةَ الظّلال، أم البلدةَ التي سُمّيت باسمها، كما هو الحال بتسمية بلاد كثيرة، بمَعْلَمٍ من معالمها، نهرًا، أو شجرةً، أو بئرًا، أو بستانًا، قال ابن كثير عن أصحاب الأيكة: "هم أهل مدين على الصّحيح، وكان نبيّ اللّه شعيبٌ من أنفسهم، وإنّما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنّهم نُسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة، وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لما قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، لم يقل: (إذ قال لهم أخوهم شعيب)، وإنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، فقطع نسبة الأُخوّة بينهم؛ للمعنى الذي نُسِبوا إليه، وإن كان أخاهم نسبًا"[1].

توجيه القراءات في ﴿لْـَٔيْكَةِ﴾:

اسمُها (لَيْكة)، ووصفُها (الأيكة) لأنّها عامرة بالشجر الكثيف الملتفّ

ورد ذِكْر (الأيكة) في القرآن في أربعة مواضع؛ في سورة الحجر، الآية (78)، وفي سورة الشّعراء، وفي سورة ص، الآية (13)، وفي سورة ق، الآية (14)، فأمّا التي في الشّعراء وص؛ فنافع وابنُ كثير وابن عامر وأبو جعفر، يقرؤونهما ﴿لَـْٔيْكَةَ﴾ بلام مفتوحة بلا ألف قبلها ولا همز بعدها، وفتح تاء التّأنيث على

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 158.

وزن (فَعْلَة)، مُنعت من الصرف، والباقون ﴿لْـَٔيْكَةِ﴾ بهمزة وصل وسكون اللّام وبعدها همزة مفتوحة وبكسر التّاء فيهما، وكذلك رُسِمَت - في هذين الموضعين - في جميع المصاحف، وأمّا موضعا الحجر و(ق) فقد اتّفقوا على قراءتهما على ﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾ بالهمز؛ لإجماع المصاحف على كتابتهما على ذلك[1]، والفرق بينهما: أنّ الأيكة الدّوحة المُلتفة منَ الشجر على الإطلاق، وقيل: من شجر معروف له غُضَارة، تألَفُه الحمامُ والقُماريّ ونحوها، و﴿لَـْٔيْكَةَ﴾: اسم البلد، في قراءة من قرأ ذلك، قالَهُ بعضُ المفسّرين، وذهب قوم إلى أنّها مُسهّلة منَ (الأيكة)[2].

دلالةُ التّعبير بمفردةِ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جمعًا:

تكذيبُ رسولٍ، تكذيبٌ للجميعِ، وجحودٌ بالمُرسِل والرّسالة

جاء التّشنيع على قوم شُعيب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في كون تكذيبهم كان لرُسل اللّه تعالى، الذين هم أحقُّ بالتّصديق، وفي تكذيبهم تكذيبٌ لمَن أرسلهم عليهم السلام، وآثَر النَّظمُ جمعَ المُرسلين، مع أنَّ المُرسَل إليهم نبيٌّ واحد؛ لأنَّ تكذيبَ نبيٍّ واحدٍ هو تكذيبٌ لجميع الأنبياء، فرسالتُهم واحدة، وهي إخلاص الدّين للّه تعالى، وهو ليس تكذيبًا للمتقدِّمين فحسب، بل تكذيبٌ للجميع، ويدخل في ذلك رسولُ اللّه ﷺ؛ لأنَّ العبرة في التَّكذيب هي التَّكذيب بالمُرسِل سبحانه وتعالى، ولهذا آثَر النَّظم استعمال مفردة الإرسال.

لطيفةُ فصل الجملة عمّا قبلها:

تقدير الأسئلة في باب الاستئناف البيانيّ بحسب نظم الألفاظ

فُصِلت جملة ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ عمّا قبلها؛ لأنَّها استئنافٌ بيانيٌّ جاءت جوابًا عن سؤال مفترض: متى كذّبوا؟ فجاء الجواب بتعيين وقتِ الدَّعوة ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، أي: كذَّبوا وقتَ أن دعاهم

(1) ابن مجاهد، السّبعة، ص: 473، وابن خالويه، الحُجّة، ص: 208، والفارسيّ، الحُجّة للقرّاء السّبعة: 5/ 51، وابن زنجلة، الحُجّة، ص: 519، وابن الجزريّ، النّشر في القراءات: 2/ 336 .
(2) النّعالبيّ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: 4/ 235.

ﷺ إلى تقوى الله تعالى، فبينهما شِبه كمال اتّصال، أو كمالُ اتصال إذا جعلنا الثّانية مبيّنةً للأولى.

دلالةُ تقديمِ الجارّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، دون أن يقول: (قال شعيب لهم)؛ لبيان أنَّ قول ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ لهم على وجه الخصوص والاعتناء بهم حين الخطاب.

توجيهُ المتشابهِ اللّفظيّ في حذف لفظ (أخوهم):

الأنبياء يُنسبون لأقوامهم إذا تجرّدوا من معاني الباطل

لم تذكر هذه الآية ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ أُخوّتَه لقومِه، مع أنَّه أخوهم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85]، وهكذا جاءت في هود والعنكبوت، وذلك أنَّه لمّا نسبهم تعالى إلى (الأيكة)، وهي شجرة عظيمة كانوا يعبدونها، لم يقل: (أخوهم شعيب)؛ لأنّهم نُسبوا إلى عبادتها، وهو ﷺ بريء من ذلك[1]، ولكنّه قال: ﴿أَخَاهُمْ﴾ [الأعراف: 85] حين ذكرَهم باسم قبيلتهم، ولم يقل أخوهم هنا حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها؛ تنزيهًا لشعيب ﷺ عنِ النّسبة إليها[2]، فنَسبَهُ إليهم لمّا ذَكر اسمَ مدين المتمحض للتّعريفِ.

نوع ﴿أَلَا﴾ ودلالتُها:

جِرْصُ الرّسلِ على أقوامهم ولطفُهم في دعوتهم

﴿أَلَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ بمعنى هلّا، فهي للتّحضيض، وهو طلبُ الشّيء، وتحريكُ الهمّة له، وبعثُ النّفوسِ إليه، وحضّهم على تقوى الله تعالى، وهي للاستفتاح والتّنبيه، استفتح دعوتَهم، فنبّههم وحثّهم على تقوى الله، بتلطُّفٍ وترغيبٍ، ويجوز أن يكون لفظُ ﴿أَلَا﴾ مُركَّبًا من حرفين؛ همزة استفهام دخلت على (لا)

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 158.
(2) ابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 95.

النّافية، "فهو استفهام عنِ انتفاء تقواهم، مستعملٌ في الإنكار، وهو يقتضي امتناعَهم منَ الامتثال لدعوته، وتباطؤَهم عن تصديقه"(1).

دلالةُ استعمالِ مفردة التّقوى:

التّقوى أساسُ الدعوات، وأصلٌ من أصول الرّسالات

آثَر النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة التّقوى في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، دونَ الإسلام أو الإيمان؛ وذلك لأنَّ التّقوى هي أساسُ الاستجابة، فإنَّ الكافر قد يوصَف بتقوى الله تعالى، ويُراد بها الخوفُ والخشية منه تعالى حينَئِذٍ، إذِ التَّقوى تأتي وصفًا للمؤمن، وهي التقوى التي تقود إلى الجنَّة، ووصفًا للكافر وهي التّقوى التي تقود إلى الإيمان، وهذا الذي حضَّهم عليه عليه السلام، ودلَّ على تلطُّفه بهم وحِكمته في دعوتهم، وترفُّقه وحرصه عليه، كما أمر اللهُ نبيّه موسى عليه السلام حين أرسله لفرعون، ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النّازعات: 17 - 19].

غرضُ الاستفهام وبلاغتُه في: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

أسلوبُ التّحضيض والتّشويق أسلوبٌ مشتركٌ في دعوة الأنبياء

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ استفهامٌ غرضُه التّحضيض، "فاللّفظُ لفظُ الاستفهام، والمُراد به الأمر، يعني: اتّقوا اللّهَ تعالى"(2)، وقال ابن فوْرك: "جاء الإنكار بحرف الاستفهام في ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ لأنّه لا جوابَ لهم عنه إلّا بما فيه فضيحتُهم؛ لأنّهم إن قالوا: لا نتّقي ما يُؤدّينا إلى الهلاك هتكوا أنفسَهم، وإن قالوا بلى نتّقيه: لزمَهُم أن يتركوا عبادة غيرِ ربّهم"(3).

بلاغةُ استعمال مفردة التّقوى بالفعل المضارع:

التّقوى أصلُ الدّعوات، ومنبتُ الخيرات

بدأ شُعيبٌ عليه السلام بحضّ قومه على التّقوى ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، كحال الأنبياء جميعًا؛ تخويفًا لهم وتحذيرًا من عذاب الله، والتّقوى تتفتّقُ عنِ الإيمان، فلا تقوى بلا إيمانٍ، فمَن يؤمن باللّه يَتّقِه، وهي المنطلق

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 158، بتصرّف.
(2) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 3/ 151.
(3) ابن فورك، تفسير القرآن: 1/ 245.

لكلّ داعيَةٍ، ونقطة البداية لكلّ مُحاورٍ، فبادِر بإنذارهم، وكلّ نبيٍّ بدأ قومَه بالنّذارة، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النّحل: 2]، وجاء بالفعل المضارع ﴿تَتَّقُونَ﴾ لتقوية معنى الحضِّ؛ لأنَّهم لم يكونوا أتقياء في ماضيهم أو في حاضرهم، فدعاهم إلى تقوى الله في الحاضر إنشاءً، وفي المستقبل امتدادًا.

نُكْتَةُ فصلِ جملة التّعليل عمّا قبلها:

تعليلُ الخِطاب أقنعُ في بيان الحجَّة

فُصِلَت جملةُ ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عمّا قبلها؛ لأنَّها جملة تعليليّة، فحَسُن الفصلُ لكمال الاتّصال؛ لأنَّ الثّانية تعليلٌ للأولى، فهي تعليلٌ للإنكار أوِ التّحضيض، أي: كيف تستمرّون على الشّرك وقد نهيتُكم عنه، وأنا رسولٌ لكم، أمينٌ عندكم؟[1].

دلالةُ التّوكيد في قوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

استباقُ الأحداث دليلُ المِكْنةِ والفصاحة

جاء التّوكيدُ في قوله تعالى: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، بحرف التّأكيد - مع عدم سبق إنكارهم أمانتَه - ؛ إمّا لأنَّه توقَّع حدوثَ الإنكار، فاستدلّ عليهم بتجربة أمانته قبلَ تبليغ الرّسالة، فإنّ الأمانة دليلٌ على صدقه فيما بلّغهم من رسالة الله[2]، وهذا استباقٌ جَريءٌ يدلُّ على مُكنته في الكلام، وهو خطيبُ الأنبياء ﷺ؛ وكان رسولُ الله ﷺ إذا ذَكَرَهُ قال: «ذاكَ خَطيبُ الأَنْبياءِ» لِمُراجَعَتِهِ قَوْمَهُ[3]، وإمّا أنَّه أكَّد اختصاص إرسالِه لهم.

معنى (اللّام) ونُكْتَةُ تقديمِ ﴿لَكُمْ﴾:

مزيدُ عناية الرّسول بالمَدعوّين يزيد من التّشنيع عليهم عند إدبارهم

(اللّام) في القيد ﴿لَكُمْ﴾ بمعنى التّعليل[4]، أي: من أجلكم، فرسالتُه ﷺ لأجل هداية قومه، وقُدِّم الجارّ والمجرور ﴿لَكُمْ﴾

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 158.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 158.
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصّحيحين، الحديث رقم: (4071)، وسكت عنه الذّهبيّ في التّلخيص.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 15/ 78.

في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾؛ لتَدلَّ على الاختصاص، فالخطابُ لقومه؛ اهتمامًا بهم وحِرصًا عليهم، والمعنى: (إنّي لكم لا لغيركم رسولٌ أمين)، ومعرفةُ المَدْعوِّ أنَّ الدّاعي أُرسِل إليه على وجه الخصوص لأجل هدايته، يزيد من إقباله، فإذا أدبر وتولَّى فإنَّ ذلك يزيد من التّشنيع عليه، والزّيادة في لومه.

دلالةُ اختيارِ لفظ ﴿رَسُولٌ﴾ وتنكيرِه:

شـرفُ الـرَّسـولِ بعَظَمة المُرْسِل وكرامةِ الرّسالة

آثَر النّظمُ الكريم استعمالَ مفردة ﴿رَسُولٌ﴾ دون (نبيّ)؛ وذلك لِلَمحِ مفهومِ الإرسال؛ فالرّسول مرسلٌ منَ الله تعالى، ففي اللّفظ إشارةٌ إلى المُرسِل سبحانه وتعالى، وإلى الرّسالة التي كُلِّف بها لتبليغ قومه بها، فالخَطْبُ جليل، والأمرُ عظيم، وهذا أدعى لتعظيم الرّسول وتبجيلِه والامتثالِ له، مع ما في تنكير لفظ ﴿رَسُولٌ﴾ منَ التّفخيم والتّعظيم، إذ شَرفُ الرِّسالة بشَرف مضمونها، وقدرُها نابعٌ من عَظَمة مُرْسِلها، ففيه حَفْزٌ لهم على الاستجابة والطّاعة.

بلاغةُ الوصف بلفظ ﴿أَمِينٌ﴾:

أبـلـغُ الأوصـاف مـا كـان تعليلًا للموصوف

وُصِفَ الرّسولُ بالأمانة في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، والأمانةُ منَ الأخلاق الرّاسخة التي تكون في المرسلين؛ للتَّذكير بحاله قبلَ البعثة، وقياسِ ما بعدَها على ما قبلها، فأفاد الوصفُ تعليلَ كونِه رسولًا منَ الله تعالى، ورَشَّحَ ذلك مجيءَ الوصفِ على وزن (فعيل)، وهي صيغة مبالغةٍ منَ الأمانة، فقد بلغ الغايةَ ﷺ في هذا الوصف، مع ما فيها من رعاية الفاصلة.

نوع الفاء ودلالتُها في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾:

تحتمل الفاءُ أن تكـون فصيحةً أو تفريعيَّةً أو استئنافيّةً

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ هي الفصيحة، وهي تُفصح عن محذوف مُقدَّرٍ، فبعد قولِه تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، يكون التّقدير: (فإذا كنت كذلك، وأنتم تُسَلِّمون بأمانتي، فعليكم أن تستجيبوا لدعوتي، وتتّقوا الله ربَّ العالمين، وتطيعوا رسولَه)، أو

أن تكون تفريعيَّة، أي: مقتضى الإيماءِ إرسالُ الأمين بتقوى الله ربّ العالَمين، فالفاءُ لترتيب ما بعدَها على ما قبلها، يعني: رسالتي إليكم أنِ اتّقوا الله وأطيعون. "ويجوز أن تجعل الفاء في ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: استئنافيّة، فيكون الكلام مستأنفًا من الله؛ للدّلالة على طريق الطّاعة ومَحجّتها الواضحة"[1].

معنى الواو ودلالتُها في ﴿وَأَطِيعُونِ﴾:

التّقوى دعوى دليلُها الطّاعةُ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ من باب عطف الأمر بالطّاعة على الأمر بالتّقوى، فهي عطف أمر على أمرٍ، وفيه بيانُ اقتران الأمرين وتلازمِهما؛ فمنِ اتَّقى اللّهَ تعالى عليهِ أن يُطيع رسولَه في الأمر كلِّه، ولا تستقيم التّقوى بدون الطّاعة، فتقوى اللهِ تعالى دعوى، ودليلُها طاعةُ رسولِه.

دلالةُ استعمالِ مفردة الطّاعة:

الطّاعةُ تأتي يسيرةً مُنقادةً

جاء استعمالُ مفردة الطّاعة في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾؛ لبيان أنَّ مقتضى اتّباعِ الرّسول في الأوامر والنّواهي يجب أن يكون سهلًا عن طواعيةٍ واختيار، فواجبُ الأُمّة اتّباعُ نبيِّها والانقيادُ له دونَ عَسارة أو نَكادة.

لطيفةُ حذف ياء المتكلم في قوله: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾:

طاعة الرّسول ليست مقصودةً لشخصه وذاته

جاء ذِكْر لفظةِ: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في القرآن إحدى عشرة مَرّة فواصلَ آياتٍ، منها: ثمانيةُ مواضع في سورة الشّعراء، حُذِفت الياءُ فيها جميعًا؛ وذلك للإشعار بأنَّ طاعة الرّسول ليست مقصودةً لشخصه وذاته.

معنى الواو ودلالتُها في: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾:

يحسن الاحتراسُ في مخاطبة النّاس

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ جاءت للاستئناف، فبعدَ أن أمرهم بتقوى الله

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 323.

تعالى وطاعتِه، شرعَ في بيان أنَّه لا يسألهم على ذلك أجرًا، ففيه احتراسٌ أن يقع منهم ظنٌّ ووهمٌ أنَّه يطلب إليهم أجرًا على دعوته.

نوع (ما) ودلالتُها:

نافيةٌ للحال والاستقبال

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ نافيةٌ، دخلت لنفي أن يسأل رسولُ اللهِ شعيبٌ قومَه أجرًا على دعوته، وفي دخولها على الفعل المضارع نفيٌ للحال والاستقبال.

دلالةُ استعمال مفردة ﴿أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ مادّةً وصيغةً:

نزاهةُ الرُّسلِ أثرٌ طبيعيٌّ لأمانتهم وإخلاصهم

آثَر النّظمُ الكريم استعمالَ مفردة السّؤال في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ دون أن يقال: (وما أطلب إليكم) ونحو ذلك، والسّؤالُ بمعنى طلبِ الشّيء؛ لبيان أنَّه لا يطلب إليهم شيئًا صريحًا أو كناية، فهو لا يطلب المالَ صراحةً، ولا يسأل عنه بطريق التّلويح والإشارة، وهذا أبلغ في التّعبير من ذِكْر لفظِ الطّلب، وجيء بصيغة المضارع ﴿أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾؛ إذ إنَّ شُعيبًا ﷺ لم يطلب مالًا ولم يستفهم عنه؛ نفيًا لذلك في الماضي، وهم يعلمون أنَّه لم يطلب، ونفيًا للحال والاستقبال؛ فإنَّ عدم السّؤال فيما مضى، لا يعني عدمَ السّؤال فيما يأتي، فعَمَّ النّفيُ عدمَ طلبِه الزّمان كلّه.

دلالة استعمالِ حرفِ الاستعلاء، وتقديمِ الجارّ والمجرور:

رسلُ اللهِ تعالى لا يسألون الأجرَ ولا يُساومون العبادَ

تعدَّى فعل ﴿أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ بحرف (على) دونَ أن يتعدَّى بنفسه، فلم يقل: (أسألكم أجرًا)؛ وذلك لتضمينه معنى قايض وساوَم، أي: لا أطلب منكم أجرًا مقابلَ دعوتي لكم إلى الخير، أو جاهًا أو جُعْلًا، أو أيّ عرضٍ دُنيويّ؛ فرُسلُ الله يتسامَوْن فوقَ الأعراض الدّنيويّة، ويترفَّعون عنِ الهِمَم الدَّنيَّة، وقُدِّم ﴿عَلَيۡهِ﴾ على القيد ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾؛ للاعتناء بالمُقَدَّم بالتَّنبيه على أنَّه لا يسألهم الأجر على هذا العمل خصوصًا، لأنّه قد يقوم بأعمال دنيويّة ويتقاضى أجرَه عليها.

تعيين مرجع الضّمير:

يرجع الضّمير في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ إلى مُقدَّر دلَّ عليه السّياق، أي: على إنذاري، ودعوتي لكم بتقوى الله تعالى وطاعتي، ونُصحي وتعليمي، وهذا من بلاغة الإيجاز.

بلاغةُ القيد ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾:

بـراعـةُ النَّـفي الصَّريح تَنِدُ قوَّةَ التُّهمة الخَفيَّة

دلَّ حرف ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ على تأكيد النَّفي وعمومِه، أي: لا أطلب أيَّ أجرٍ، قلَّ أو كَثُر، وجاء استعمال لفظ ﴿أَجۡرٍۖ﴾ للإيماء إلى أنَّ الرّسالة عملٌ دؤوبٌ، وجَهْدٌ مُضنٍ، ليست بالمُهمّة اليسيرة؛ فإنَّ مَن يسلك هذا المسلكَ من آحاد النّاس فلن يتردَّد في طلب الأجر، وقد جاء هذا اللّفظ نَكرةً للتّقليل والإبهام، والنّكرةُ في سياق النّفي تُفيد العمومَ، فنفى أن يكون قد طلب أيَّ أجرٍ كان، وأفاد القيدُ أنَّ قومَه – وهم أهل مالٍ واقتصاد – أشعروه من طَرْفٍ خَفيٍّ بأنَّه يطلب الأجر، وهذا وإن لم يظهر في النَّظم، لكنَّه يُؤخذ من فحوى الرَّدِّ، فجاء هذا النّفيُ بهذه البلاغة البديعة، لردِّ ما قد تتصوّره الأذهانُ من طلبه مقابلَ إرشادِهم وهدايتهم.

علَّةُ فصْلِ الجملةِ عمّا قبلَها:

تعـليـلُ الـكـلام وبـيـانُ فـحـواه أقنعُ في العقل وأرسخُ في القلب

فُصِلَت جملة ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنَّها جملة بيانيَّة مستأنَفة، فهي جوابٌ عن سؤالٍ يتبادر في الذِّهن: فمن يُثيبُك على هذا العمل؟ فأجاب بأنّ أجرَه على الله وحدَه، فبينَ الجُملتين شِبه كمالِ اتّصال، أو تكون محمولةً على التَّعليل والبيان، فهي بيان للجملة السّابقة النّافية أن يسألهم أجرًا؛ لأنَّه يطلب الأجر منَ الله ربِّ العالَمين، فبينَ الجُملتين كمالُ الاتّصال.

أبلغُ الكلامِ ما تعاضدت فيه المعاني في رَدّ الأوهام

بلاغةُ القَصْر في قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

معنى ﴿إِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ النَّفي، وقد جاءت أداةُ الاستثناء بعدَها للقَصْر، أي: لا أجرَ لي على

أحدٍ منَ البشر؛ لأنَّه على اللّه وحْدَه سبحانه، والقَصْر يُؤكِّد معنى التَّعليل في الجملة، والتّوكيد للسّابقة؛ قطعًا لشكوكهم، وتصريحًا بقوّة يقينِه بربّه.

بلاغةُ إظهارِ ما حَقّه الإضمارُ:

إذا اختلفتِ المعاني حَسُنَ إعادةُ المباني

أظهر النّظمُ الكريم لفظَ ﴿أَجْرِيَ﴾ مع تقدّم ذِكْرها في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ دونَ التّكنية عنه، كأن يقول: (وما أسألكم عليه من أجر إن هو إلا)؛ لإفادة أنَّ الأجر الذي يطلبه منَ اللّه تعالى يختلف عنِ الأجر الذي ظنَّه قومُه، فأعاد اللّفظ لبيان أنَّ الأوّل غيرُ الآخَر، وأنَّ الأجر الأوّل هو أجرُ النّاس، وأنَّ الآخَر هو الأجر منَ اللّه تعالى، وما كان كذلك لا يَسُدُّ الضَّميرُ مَسَدَّه؛ لأنَّ الضّمير تعيينٌ للأوّل مطابقةً، والمقصودُ شيءٌ آخَرُ، فالأجرُ الأوّل دنيويٌّ، والآخَر أُخرويٌّ، فيدخل هذا في باب الوجوه والنّظائر، إذ جاء اللّفظ الواحد لمعنيين مختلفَين.

بلاغةُ إضافةِ الأجر للضّمير:

أجرُ الرُّسُل لا مثيلَ له في الدُّنيا

أُضيفَ لفظُ (الأجر) إلى ضمير المتكلِّم في قوله: ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾، والإضافةُ للمُلكيّة والاختصاص؛ وذلك للإيماء إلى أنَّ هذا الأجرَ لا شبيهَ له ممّا يعلمُه النّاسُ، فهو أجرٌ مخصوصٌ به ﷺ من ربِّ العالَمين، ولتحقير ما يتصوّرونه من أجورٍ على دعوته ﷺ، وهو أجرٌ لا مثيلَ له في الدّنيا، ففيه إشارةٌ إلى إثبات البعث.

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ وفائدتُها:

الأجر منَ الله تعالى مضمونٌ ومكفول

جاء استعمالُ حرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ للإشارة إلى معنًى لطيف وهو أنَّ اللّه تعالى هو الذي كَفَل ليَ الأجرَ، فلا يُراد منَ الاستعلاء هاهنا معناه الظّاهر، فلا يجب على اللّه تعالى شيءٌ، وإنَّما المرادُ أنَّ اللّه تعالى قد كَفَل لرسله الكرام أجرَهم، فهو تعبيرٌ يُفهَم في ضوء الجملة كلِّها، ففيه توكيدٌ وضمانٌ بأنَّ حقَّه عند اللّه تعالى لا يضيع.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بعنوان الرّبوبيّة:

الأجـرُ العظيم مـــنَ الـــرّبِّ العظيم

جاء التّعبيرُ بعنوان الرّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ تعظيمًا لهذا الأجر، فهو من قِبَلِ الخالق، الرّازق، المالِك، المُدبّر، المُحسن، أي: الذي دبَّر جميعَ الخلائقَ وربّاهم[1]، وإيتاءُ الأجرِ يدخل في توحيد الرّبوبيَّة.

معنى تعريف ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

دلَّ لفظ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على الاستغراق؛ فشمل جميعَ العوالِم، وفيه تعظيمُ الرّسول لربِّه، وتعظيمٌ لأجره ومثوبته، وهو دالٌّ على كثرة هذه العوالِم وتنوّعها، وتعظيم الله تعالى الذي خلق هذه العوالِم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأيكة والغَيضة:

الأيـكـةُ شجرٌ مُلتفٌّ متكاثف، والـغَـيـضـة ما يكثُر ماؤه

الأيكة مفرد الأيك، وهي الشّجرُ الذي تشابكت أغصانُه، أو الشّجرُ الكثيف المتقاربُ، والشّجرة: الواحدة منَ الشجر، والغَيضة: المكان الذي يجتمع فيه ماء، وينبت فيه شجرٌ كثيف، فترعى فيها الأنعام، والجمع: غياض، أصلها من غاض الماء يغيض غيضًا، أي: قلَّ ونضُبَ، وانغاضَ مثله[2]، والأَجَمة: الشّجر الكثير المُلْتَفّ، جمعها: آجام وأَجَمات[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 63.
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (غيض).
(3) ابن سيده، المخصّص: (أجم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»